البنيات الأسلوبية في قصيدة صوت جيش التحرير لمحمد العيد آل خليفة

طالبة.:عجال أمال

إشراف الدكتور :عراب أحمد

جامعة الشلف /الجزائر

الملخص باللّغة العربية :

تقدم هذه الورقات البحثية قراءة أسلوبية في قصيدة "صوت جيش التحرير" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة، انطلاقا من البنية الصوتية وما فيها من البحور والقافية والظواهر الصوتية الغالبة، انتقالا إلى البنية التركيبية وصولا إلى البنية الدلالية، وبالأخص الدلالة البيانية من التشبيه و الاستعارة و المجاز للوصول إلى تجلية النص بكل دلالاته و جمالياته، وصوره وأساليبه الفنية لإظهار جمالية التعبير فيه.

الكلمات المفتاحية : الخطاب الثوري، البنية، السياقات، المقاربة الأسلوبية

الملخص باللغة الإنجليزية:

This researchintroduces a stylisticreading of the poem (The Voice'sLiberationArmy) for the poet (Mohemed el Eid al khalifa) , startingwith the acoustic structure, musical rythm, rythm and stanzathen structure of synthetic. Finally, the semantic structure especially figures of speachsuch as metaphor and metonimy to reach the clearing of the texte with all it’ssignificances, authentics, portrates, and it’s textural, technical and artistic styles to show the authenticexpresionwithinit .

Key words : Revolutionaryrhetoric, structure, contexts, stylisticapproach.

استطاعت الأسلوبية كمنهج نقدي معاصر أن تفرض وجودها بين المناهج الأخرى، وترسي مبادئها وبنياتها، وتقدم رؤية جامعة لمختلف الاتجاهات التي عاصرتها، فخطت بذلك أشواطا كبيرة في دراسة النصوص مسائلة لغتها محاولة الكشف عن عناصرها الجوهرية التي تضيء دلالاتها، كما حاولت منح المتلقي إمكانيات تأويلية كثيرة،فدلت في مواطن عديدة على الخصائص الجمالية الفردية والطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة، فكان الأسلوب مادة الأسلوبية الخام ومعدن وجودها وانطلاقا من هنا سأقوم بقراءة في عينات من قصيدة محمد العيد آل خليفة مستخدمة آليات المنهج الأسلوبي و من خلال هذه العينات سنتعرف على أسلوب الشاعر.

أولا :البنية الصوتية:

1/الإيقاع الخارجي:

أ) _**الوزن:** "هو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت الشعري، وقد كان هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية"[1].

تنتمي قصيدة" صوت جيش التحرير" من الناحية العروضية إلى بحر" الخفيف" الذي تفعيلاته:

فاعلاتنمستفعلنفاعلاتنفاعلاتنمستفعلنفاعلاتن

وقد جاءت الأعاريض والأضرب في جلّ أبياتها مخبونة ومثال ذلك قول الشاعر:

واتّخذنا من الجبال قلاعا نقرع السّمع بالصّدى كالجبال[2]

0/0///0//0/0//0/ 0/0//0//0/0//0/0//0/

فاعلاتنمتفعلنفعلاتنفـــــاعلاتنمتفعلنفاعلاتن

الواضح أنّ الشاعر أكثر في هذه القصيدة من الزحافات والعلل، مما جعلها صالحة لغرضالفخر وقد دعمّ ذلك القافية التي اختارها على روي اللام المكسورة الأمر الذي جعلها تدخل في حركة تناوب مع البحر وتصوّر بروعة الذات القومية الجماعية.

ب)_ القافية وحروفها: القافية كما يراها إبراهيم أنيس: عدّة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر والأبيات من القصيدة، وتكررها يكون جزءا مهما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقعالسّامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الاذان في فترات زمنية منتظمة، وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن".[3]

سيطرت قافية اللام على القصيدة، وهو صوت مجهور انحرافي فقد جاء بما فيه من قوّة وتردد صوتي مرتبطا بحالات الفرح، والتغني بالأمجاد، والافتخار بالانتصارات، والرفض المطلق للاستعمار والتعبير عن الامتعاض الشديد منه ونحن نحس بذلك عند نطق عدد كبير من اللاّمات، وبشكل متتال. فالقافية في البيت السالف الذكر هي "جبالي".

2/الإيقـــاع الداخلـــي:

مما لاشك فيه أن أهم عناصر البنية النصية في المفهوم الشعري مصطلح "نظام الأصوات"الذي يظم في نطاقه الوزن والإيقاع، وضروب الترجيع والتكرار، والوقفات والنبرات والتردد والإقدام والعلو والدنو، والقيم الصوتية في لغة الشعر هي نقطة الانطلاق عند الشروع في أي عمل شعري".[4]

أ)_**تـكرار الأصـوات:**يعدّ التكرار أسلوبا من الأساليب التعبيرية، ومن مميزات هذه القصيدة اعتمادها عليه، فالتكرار ذو جانبين من الأهمية :فهو أولا يركّز المعنى ويؤكده، وهو ثانيا يمنح النص نوعا من الموسيقى العذبة المنسجمة مع انفعالات الشاعر في هدوئه أو غضبه أو فرحه أو حزنه.[5]

كرّر الشاعر الأصوات ووظفها بمهارة فائقة فانتقى الكلمات ذات الجرس الصوتي المتطابق وهذا ماتراه في هذين البيتين:

إيه يادولة الجزائر لبّيـــــــــــــــك فوالي نـــــــــداءنا للمـــعالي

قد أجبنا" نعم"ففزنا جميعا و"نعم"في الجواب فصل المقـــــــــال[6]

فتكرار حرفي(الدال والجيم)يدل على فرحة وافتخار الشاعر بالشعب الجزائري الذي لبّى النداء، فصيّر الهزيمة نصرا، والألم فرحا، فهذه الأصوات عبّرت عن حالته النفسية التي عاشها وهذا مايجعل القارئ يتفاعل مع أصوات القصيدة بكلّ ماتحمله من شحن عاطفي، وتعبئة دلالية مكثفة.

والإحصاء الذي قمت به عن أصوات الهمس والجهر سجل حضورا قويا للأصوات المجهورة التي تكررت45 مرة، في مقابل انخفاض الأصوات المهموسة التي تكررت 35 مرة. لأنّه يدعو الشعب الجزائري إلى الافتخار بأمجاد وانتصارات جيش التحرير، كما أنّه بصدد تكذيب الإشاعات، وإبطال الاتهامات والادعاءات التي قيلت عنه بأنه عبارة عن عصابات وقطاع طرق فاختار الألفاظ ذات الجرس القوي لإسماع صوته فهو في موقف الفخر يحتاج إلى أصوات حادة تناسب الموقف.

ب)_ تكـــرار اللفـــظـة:ومن أمثلة ذلك تكرار الضمير **" نحن"** فقد تكرر في القصيدة 5 مرات منفصل، و25 مرة متصلا ذلك لأنّه اللفظة المحورية التي قامت كل القصيدة تخليدا له "جيش التحرير".

قال الشاعر: **نحن جيش التحرير جند النضال نحن أسد الفدى نمور النزال**

دمدم الطـــــــبل للنّفير فثرنـــــــــــــا وهززنـــــا البـــــــلاد كـــالزلـــزال(7)

شكّل هذا الضمير مفتاحا لجلّ الأبيات الشعرية فلا يكاد يخلو بيت من ذكره كونه ملهم شاعرنا في إبداعه الشعري،وقد كثّف من استخدامه وكأنّه يحاول أن يصرخ ويخبر العالم من هو هذا الجيش وما فعله بالمستدمر الغاشم.أما عن تكرار كلمة **"إفريقيا"**في قوله:

كل "إفريقيا إلينا استجابت واستقلّـــــت بوحدة الأوصـــــــــــــال(8)

نحن إفريقيا وافريقيا نحـــــــــ ـــن اتّحادا، ونحن قطب الشمال

فقد أراد الشاعر من تكراره لكلمة **"افريقيا"** أن يعبر عن اعتزازه وافتخاره بالهوية والانتماء، وهو دليل على التحام وتماسك الشعب الجزائري مع بقية الشعوب العربية،فهو يؤكد للمستعمر أنهم على رأي واحد وكلمة واحدة فلا مجال لزرع الفتن ومحاولة التفريق بينهم.

ج- المحسنات البديعية:هي من الوسائل البلاغية تهتم بالجانب اللفظي والمعنوي في التعبير تضفي على النص طابعا موسيقيا وجماليا متميزا.

1)_ التصريـــع:وهو من الصور البديعية اللغوية، ويتمثل في التصريع الواقع في العروض والضرب كما يظهر ذلك جليا في البيت الأول بين كلمتي **"النضال "و"النزال"** في قول الشاعر:

نحن جيش التحرير جند النضال نحن أسد الفدى نمور النزال(9)

2)_ الجنـــــاس:"وهو تشابه كلمة مع أخرى في تأليف الحروف" **(10)**.ولم يرد هذا النوع من الأسلوب في القصيدة إلا مرّة واحدة في قوله:

فهو مؤتي الجزائر اليوم نصرا وهو مجلي محتلّها المحتال(11)

والجناس في هذا البيت بين **"محتلها"و"محتال** "وهو جناس ناقص، لاختلاف المتجانسين في عدد الحروف.

3)_الطبـــــــــــــاق:هو الجمع بين المعنيين المعنى وضدّه في لفظتين، والطباق نوعان،طباق الإيجاب، وطباق السلب.[12]ونجد الشاعر قد وظفه في قوله:

والأناشيد في الميـــــادين تتلى من نســـــــاء وصبيـــة ورجـــال[13]

في هذا البيت كلمتين متضادتين وهما **النساء** و**الرجال** وهذا يسمى طباق إيجاب أراد من خلاله أن يبين فرحة كل طبقات المجتمع الجزائري بالنصر الذي حققه جيش التحرير.

ثانيا :البنية التركيبية .

1)حضور الأسماء والأفعال:بلغ حضور الصيغ الاسمية في القصيدة نحو 46 صيغة من إجمالي الصيغ المستخدمة، فالشاعر أراد أن يخبرنا بل ويقنعنا بحقائق ثابتة، وهذا مايوافق توظيف الأسماء التي تعطي دلالة الثبات والاستقرار".[14]

2)الأفعال ودلالتها الزمنية:مايلفت انتباه القارئ في هذه القصيدة أثناء تمعنه في تراكيبها النحوية هو كثرة استعمال الأفعال الماضية حيث بلغت في القصيدة **35** فعلا ماضيا منها(دمدم،ثرنا،اتّخذنا، هززنا، أقمنا، ضربنا، .....) في مقابل الأفعال المضارعة التي قدّرت بـ **3** أفعال (نقرع، تنبئ، نرى)فقد أكثر من استخدام الزمن الماضي لأنه قصّ علينا أمجادا وبطولات سابقة حققها جيش التحرير، فهو يريد أن تبقى تلك الذكرى وتلك الانتصارات خالدة في ذاكرة كل جزائري لكونها جديرة بذلك.

3)الصيغ الصرفية:مايلاحظ على الصيغ الفعلية المستخدمة في القصيدة توفر الأفعال الثلاثية بكثرة ولو عدنا إلى صيغها لوجدنا أنّ الأفعال الثلاثية المفتوحة العين كانت أكثر الصيغ استخداما مثل قول الشاعر:**وأدرنا رحى الوغى فانتصرنا وأذقنا الأعداء مرّ النّكال**[15]

هذا ما يبرز جنوح الشاعر إلى الخفّة اللفظية في الأسلوب بحكم سهولة نطق هذا النوع من أبنية الأفعال

قياسا بالباقي كالرباعي والخماسي والسداسي، وأيضا بحكم أنّ الفتحة أخف الحركات".[16]

4) التقديم والتأخير: كلاهمايعتبر انزياحا عن التركيب الأصلي ويقول الإمام الجرجاني عن جماليته:"هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية....."[17]

ومن أمثلة التقديم والتأخير قول الشاعر :

فالإذاعات تنبيء الناس عنا بانتصـــــاراتنا بكـــل مجـــــــال[18]

أصل التركيب أن يكون على النسق التالي:**تنبيء الإذاعات الناس عنا** :فقد قدم الشاعر المسند إليه **"الإذاعات"**الذي كان فاعلا فأصبح مبتدأ على الخبر الفعلي فأفاد تقوية الخبر الذي هو **النبأ**، وهذا التوكيد يشير إلى التأثر الكبير للشاعر بالحكم الذي أصدره فأراد أن ينقل هذا التأثر إلى المتلقي .

وقوله أيضا:**كل افريقيا إلينا استجابت واستقلت بوحدة الأوطان**[19]

فأصل التركيب أن يكون على النسق التالي:

استجابت كل افريقيا إلينا : قدم الشاعر المسند إليه (**كل إفريقيا**) وشبه الجملة (**إلينا**) على الخبر (**استجابت**)، وذلك لتأكيد منزلة جيش التحرير لدى سكان القارة الإفريقية بأسرها فقد استجابت لندائه كل الأقطار المغلوبة على أمرها كونه أبرز الأمل الباسم في الحرية والانعتاق.

ويقول الشاعر أيضا:

ونرى دولة الجزائر فينا دوحة تحتها وريف الظلال[20]

فقد أخر الشاعر المفعول به (**دوحة**) وقدم الجار والمجرور (**فينا**) للتأكيد على أن الجزائر فيهم وهم فيها كالدم في العروق.

5)الحذف:يقول الجرجاني:"إنّ الحذف باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر..."[21]

حذف المبتدأ ومثاله:

نحن جيش التحرير جند النضالنحن أسد الفدى نمور النزال[22]

فالجملتان(**جند النضال**) و(**نمور النزال**) خبر لمبتدأ محذوف تقديره **" نحن"** وقد حذف تفاديا للتكرار وقصد الإيجاز، ولكونه أصبح معروفا للمتلقي.

وقوله أيضا: **جبهة الشعب أختنا البرة الكبر ى نرى قدرها بعين الجلال** [23]

نلاحظ أنّ الشاعر حذف المبتدأ في قوله (**أختنا البرة**) والغرض من ذلك تأكيد الخبر وتقويته للقارئ وإثبات الصلة القوية بين الثوار وجبهة التحرير.

ثالثا :التراكيب المجازية.

المجاز الشعري بأنواعه المختلفة مفارقة التراكيب للمألوف في الاستعمال في اللغة غير الفنية بكسر قوانين الاختيار المعروفة بين الكلمات".[24]

1)_الـــــتشبيـــــــــــــــــــــــــــه:التشبيه هو بيان شيءأو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو ملحوظة".[25]

وظف محمد العيد آل خليفة في قصيدته هاته التشبيه بكثرة كونه يوضح قصد الشاعر، ويكون أقرب إلى الواقع ومن هذه التشبيهات قوله:

نحن جيش التحرير جند النضال نحن أسد الفدى نمور النزال[26]

وهو تشبيه بليغ، حيث شبه الشاعر **جيش التحرير بالأسود والنمور** وقد أراد من خلاله أن ينقل لنا الصورة الحقيقية لجيش التحرير وهم في ساحة الوغى يقاتلون بكل شجاعة وبسالة المستدمر، وينقضون عليه انقضاض النمر والأسد على فريسته.

قوله كذلك: **دمدم الطبل للنفير فثرنا وهززنا الأرض كالزلزال** [27]

وهو تشبيه مجملإذ شبه الشاعر جيش التحرير بالزلزال متوسلا الكاف كأداة للتشبيه، نقل لنا الشاعر دون أي عناء صورة جيش التحرير الذي قاتل فرابط وثبت، فكان كالزلزال الذي شقّ الأرض تحت أقدام المستعمر فشتت صفوفهم، وزعزع وحدتهم وألحق بهم خسائر فادحة.

2)_الاستـــــــــعـــــــــارة: هي من بين الوسائل التي استخدمها الشاعر في قصيدته، ويعرفها البلاغيون " بأنها استخدام كلمة في غير معناها الحقيقي، لعلاقة المشابهة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة تمنع إرادة المعنى الحقيقي، [28] ومثالها قول الشاعر:

واتخذنا من الجبال قلاعا تقرع السمع بالصدى كالجبال[29]

إن أردنا تحليل هذا الشكل الاستعاري يمكننا القول أن الشاعر شبه السمع بالأجراس التي تدق فيصل صداها إلى الأذن، فحذف المشبه به الذي هو الأجراس أو الباب وترك لازمة تدل عليه وهي الفعل "نقرع" وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية.**

3)_الكـنـــــــــــــــــــــــاية:عرفها أبو عبيدة في قوله: وهذا اللفظ في العبارة لم يوضع في الأصل عند أصحاب اللغة للدلالة على هذا المعنى وإنّما فهمت تلك الدلالة بشيء من الروية وإعمال العقل".[30] وقد وظفها شاعرنا في قوله:

كل افريقيا إلينا استجابت واستقلّت بوحدة الأوطان[31]

وهي كناية عن صدى جيش التحرير عبر مختلف أنحاء افريقيا.

4)_المجـــــــــــــــــــــــاز:يعرفه البلاغيون "بأنه كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي".[32]ويتجلى في قوله:

إيه يا دولة الجزائر لبّيـــــــــ ـــــك فوالي نداءنا للمعالي[33]

فتوجيه الأمر للدولة بإسماع النداء للمعالي في هذا البيت مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأنّ الشاعر في الحقيقة لا يأمر الدولة بإسماع للنداء لأن الدولة لا تسمعه، ولا تستجيب للأوامر، ولكن لما كانت الدولة تمثل الشعب حلت محله.

رابعا :البنيات المعجمية: أبرز الحقول الدلالية مايلي:

1_حقل الحرب: الوغى،الأعداء،استعمار، أسارى، استقلت، استقلال، محتل، ذدنا،شهيد.

2_حقل النصر : (الانتصار أو الفوز): يتضمن المداخل المعجمية التالية: انتصاراتنا،أذقنا، صبر، استبسال، الزغاريد،الهتافات، هامات النص، الأناشيد،فزنا، الأبطال.

لقد أكثر الشاعر من ألفاظ الحرب والنصر ليؤكد على الفوز المؤزر لجيش التحرير ضد مستعمر لا يستهان به قوي من حيث العدة، والعدد إلا أن جيش التحرير تمكّن من تحطيم خرافة تفوقهم العسكري.

في الأخير نتوصل إلى أنّ الشاعر استطاع بما أوتي من براعة نقل تجربته الشعرية إلى المتلقي فجعله مفتخرا بما حققه جيش التحرير من بطولات، وذلك من خلال الخصائص الصوتية للغة التي كانت ذات طابع موسيقي متميز ويرجع ذلك إلى التكرار بأنواعه، وكذا توظيف البحر الخفيف الذي زاد موسيقى القصيدة عذوبة، ومن جهة أخرى

قدرته وبراعته في استعمال الصور البيانية، والمحسنات البديعية، واختيار الألفاظ الموحية بالجو الملحمي في مسيرة الشعب الجزائري فجاءت لغته شعرية جميلة مؤثرة.

الهوامـــــــش :

(1)عبد الفتاح صالح،عضويةالموسيقى في النطق الشعري الحديث، مكتبة المنار، د.ط، الأردن، 1985، ص50

(2) ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع، عين مليلة الجزائر، 2010د.ط،ص427.

(3) ينظر:إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2،القاهرة،1952، ص248.

(4) ينظر:صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق القاهرة، ط1ن 1998، ص21.

(5) ينظر يوسف ابو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 1997،ص264.

(6) ديوان محمد العيد ال خليفة، ص429.

(7) الديوان،المصدر نفسه، ص427.

(8) الديوان،المصدر نفسه،ص427 وما بعدها.

(9) الديوان،المصدر نفسه،ص247.

(10) نصر الدين بن زروق، البنى الأسلوبية في شعر محمد العيد ال خليفة دراسة تطبيقية على ديوانه، دار الوعي، ط1، رويبة الجزائر، ص247.

(11) ديوان محمد العيد ال خليفة، ص429.

(12) يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم البيان، البديع، المعاني، دار المسيرة للنشر والطباعة،2007، ص244.

(13) ديوان محمد العيد ال خليفة، ص 429

(14) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في اللغة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007، ص47/46.

(15) ديوان محمد العيد ال خليفة، ص427.

(16) ينظر:محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، دار الإمام مالك للكتاب،الجزائر 2004، ص549.

(17) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،تح: علي محمد زبير،مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ط2005،1، ص73.

(18)ديوان،محمد العيد ال خليفة، ص427.

(19)الديوان، المصدر نفسه، ص247.

(20) المصدر نفسه، ص249.

(21) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص95.

(22) ديوان، محمد العيد ال خليفة، ص427.

(23) المصدر نفسه،ص428.

(24) محمد حماسة عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط1، 1990، ص8.

(25) يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 132.

(26) ديوان محمد العيد ال خليفة، ص427.

(27) المصدر نفسه، 427(28) نصر الدين بن زروق، البنى الأسلوبية في شعر محمد العيد آل خليفة، ص245.

(29) الديوان المصدر نفسه، ص427.

(30) ينظر:أبو بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأخبار أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت، ص 76.

(31) ديوان،محمد العيد ال خليفة، ص427.

(32)نصر الدين بن زروق، البنى الأسلوبية، ص246.

(33)الديوان، المصدر نفسه، ص429.